سير أعلام شهداء الثورة السورية

الشيخ أبو يحيى المصري (وليد الصوابي)

جمع و ترتيب : أبي الوليد الحنفي

ربيع الأول 1442 هـ

إهداء

إلى الشاب الشيشاني الذي غار على حبيبه خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم فقطع رأس الوغد الفرنسي الذي أساء إليه وعجل بروحه النجسة إلى سقر، ثم لقي الله شهيدا برصاص الحقد الصليبي، رحمك الله أيها البطل وجزاك عن المسلمين خير الجزاء، ولا بارك الله بعمائم السوء والفساد والذل والعار والمداهنة للكفار التي استنكرت هذه البطولة والغيرة على حبيب رب العالمين.

المقدمة

الحمد لله الصمد القدوس، المتصف بصفات الكمال والجلال، المنزه عن كل عيب ونقصان، تبارك ربنا وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعتريه ضعف ولا نصب، خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسه من تعب ولا لغوب، والصلاة والسلام على عبده ورسوله خير خلق الله محمد، المرسل رحمة للعالمين ليخرجهم من حنادس الظلم إلى نور الإيمان، وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد؛

فهذه سيرة المجاهد البطل، وطالب العلم الدؤوب، والعابد المجد، والمربي الفاضل، والمعلم الحازم، والداعية الحكيم، والأخ الرفيق، والمبتلى الصابر، الشيخ وليد الصوابي، المكنى بأبي يحيى المصري.

وقد اعتمدت في جمع سيرته وتدوينها على شهادة إخوانه وأقربائه وتلامذته، وهم:

- الأخ شامل الأنصاري.
- الأخ أبو النور المهاجر.
- الأخ أبو عبد الله الحموي.
- الأخ أبو الفاروق هارون.
- الأخ أبو الزبير جدار.
- الأخ أبو فهد الجزراوي.
- الأخ أبو بلال جدار.
- الأخ أبو عبد الرحمن جبل.
- الدكتور أبو حسين الأردني.
- الأخ أبو كنان الأردني.
- الأخ أبو همام الحموي، أحد مرافقي الشيخ في تركيا.
- الأخ أبو يوسف، المرافق الثاني للشيخ في تركيا.
- الأخ أبو أسامة الأردني.

- الأخ أبو عبد الرحمن الشيخ يوسف.
- الأخ أبو محمد الإدلبي.
- الأخ أبو قتادة الإدلبي.
- الأخ أبو عبد الرحمن زمار.
- الأخ أبو تميم محمبل.
- الأخ أبو الدرداء محمبل.
- الأخ أبو حذيفة نحليا.
- الأخ أبو تراب كفر حلب.
- الأخ أبو خالد الديري.
- الأخ عبد الله أبو بكر.
- الشيخ أبو دجانة المصري.
- الشيخ أبو القاسم المصري.
- زوجته، وقد اتصلت بها زوجتي ونقلت لي شهادتها مكتوبة.
- شهادة الدكتور أبي عائشة المصري

مولده ونشأته:

ولد الشيخ وليد الصوابي (أبو يحيى المصري) في الكرداسة التابعة للجيزة في مصر، وكان مولده في 29/ 1/ 1989م، وهو أصغر إخوته، ونشأ وترعرع هناك، ولما كان في الصف الأول كان يحفظ خمسة أجزاء من القرآن، تخرج في كلية دار العلوم، وحصل على تقدير جيد في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، كما درس على عدد من المشايخ في مصر ومن أشهرهم الشيخ مصطفى العدوي والشيخ أبو إسحاق الحويني، وكان كثيرا ما يتصل بالشيخ العدوي ويستفتيه ويستشيره، وكان يحفظ القرآن الكريم مع بعض القراءات، يقول الدكتور أبو حسين: قرأت مرة شيئا من متن الشاطبية فأكمل أبو يحيى، فعلمت أن عنده علما في القراءات.

نفيره إلى الجهاد:

قدم الشيخ إلى سوريا في عام 2013م مجاهدا في سبيل الله.

تقول زوجته: كانت والدته السبب الرئيسي في هجرته، فقد باعت مصاغها الذهبي ودفعت المال إليه ليذهب إلى سوريا، وقد ذكر لي موقفا مع والدته قبل هجرته وهو السبب لهجرته؛ إذ كان يشاهد المجازر التي تحدث في سوريا، فقالت له: «لست برجل ما دمت لم تذهب لنصرة هؤلاء»، نعم الأم هي... نفتقد مثل هذه الأم الصابرة المصابرة في أيامنا هذه، من مثلُها الآن تضحي بفلذة كبدها إلا أقل القليل.

وانتسب بداية إلى فصيل كتائب الإيمان، وهو فصيل مستقل في كفر تخاريم ومعظم المعارك التي خاضها كانت في الرقة، وكان عدد من شباب جبهة النصرة يزورون كتائب الإيمان ليتدربوا عند مدرب كتائب الإيمان الأخ أبو أسامة الأمريكي، فأحضر أحد

الإخوة المتدربين أبا يحيى إلى أحد مقرات النصرة زيارة في قرية جدار، فأعجبه الأمر فتحول إلى النصرة، وكان ذلك في آخر الشهر السادس من العام ذاته الذي قدم فيه سوريا.

يقول الدكتور أبو حسين الأردني: كان عصاميا جدا وذا همة عالية ويحب أن يكون متفوقا في كل شيء ولا يقبل أن يسبقه أحد في أي مجال من المجالات، وقد عمل في بعض الأعمال الشرعية في فيلون -مع أنه لم يظهر ما عنده من العلم حتى قطعت أطرافه حتى لا يتحول من العمل العسكري- بانتظار إقامة المعسكر الذي سيلتحق به، واستمر إلى الشهر العاشر حيث التحق بالمعسكر وتخرج فيه، وكان ترتيبه الخامس أو السادس فكاد أن يجن لأنه لم يكن الأول.

يقول أبو كنان: كان الشيخ رياضيا ويتمتع بلياقة عالية جدا، وقد قفز قفزة عظيمة ذات مرة وقد أذهلت قفزته الإخوة، وصُوّر أثناء ذلك، فقال له بعض الإخوة: لا تنشرها فإنا نخشى أن تصاب بعين، إلا أن الصورة انتشرت، فلما بترت أطرافه قال: أخشى أن تكون عين أصابتني.

بتر أطرافه:

خاض أبو يحيى أول معاركه وكانت الأخيرة أيضا.

يقول الأخ أبو كنان: طُلب منا مؤازرة إلى منطقة الشيخ نجار شمال حلب، فسألنا من يخرج طبيا مقتحما، فرفع أبو يحيى يده ثم خرج إلى المعركة مع بعض إخوانه، وكان العمل العسكري لتحرير تلة الشيخ يوسف، فخاض المعركة ولم يكتب الله الفتح، فعادوا لإعادة ترتيب الصفوف ثم خوض معركة أخرى.

يقول الدكتور أبو حسين: خرجنا مؤازرة إلى الشيخ نجار، وكنا نعد لعمل عسكري، وكنت واقفا مع أبي يحيى المصري

وأبـي محمـد الفاتـح وأبـي وليـد غابـة وأبـي الخيـر تفتنـاز في سـاحة ترابيـة، والمنطقـة التـي نحـن فيهـا مليئـة بمقالـع الحجـر، فأطلقـت دبابـة قذيفـة أصابـت السـاتر، فقلنـا: اركضـوا إلـى الدشـم فركضنـا، وبقـي أبـو يحيـى وأبـو وليـد، وأُطلقـت القذيفـة الثانيـة ونزلـت بقـرب أبـي يحيـى وأبـي وليـد وغطـى الغبـار المـكان، وبعـد انكشـاف الغبـار خرجـت مـن الدشـمة وأتيتهـم فرأيـت أبـا وليـد وقـد بقـرت بطنـه فأدخلـت يـدي فغاصـت فعلمـت أنـه ميـت، فانطلقـت إلـى أبـي يحيـى ولـم يظهـر لـي بدايـة أنـه مصـاب فقـد كان الوقـت ليـلا وكنـت أخشـى نـزول قذيفـة ثالثـة، ولكنـه كان صغيـر الحجـم فسـحبته نحـو الدشـمة، وكان يـردد: لا إلـه إلا الله بسـرعة ولا يتوقـف عـن ذلـك، ولمـا أدخلتـه أخرجت مصباحـا فأضأتـه ورأيـت أن رجليـه قـد بترتـا، فقلـت: تقبلـك الله، ولـم أنتبـه إلـى أن يـده قـد بتـرت أيضـا، وأصيـب أبـو الخيـر أيضـا إصابـة يسـيرة، ففتحـت الحقيبـة الطبيـة التـي معـي لأضمـد أبـا يحيـى، فرأيـت أن كل مـا فيهـا مـن الشـاش والضمـاد لا يكفيـه فأغلقتهـا، ومـن رحمـة الله بـه أن الشـظية التـي بتـرت أطرافـه كانـت حـارة جـدا فكـوت أطرافـه بعـد القطـع فلـم ينـزف، ثـم لففـت رجليـه ببعـض الشـاش وطلبنـا الإسـعاف، فجـاءت سـيارة، فقـال أبـو الخيـر: أنـا سـأقود السـيارة، ثـم وضعنـا أبـا يحيـى في الخلـف ومضـى أبـو الخير، وقـد لاقـى أبـو يحيـى عنـاء شـديدا وآلامـا مبرحـة حتـى وصـل إلـى مشـفى الصاخـور، ولـم يعـط مسـكنا حتـى وصـل المشـفى، فـكان يقـول بعـد ذلـك: أذكـر ألـم كل مطـب مررنـا عليـه أثنـاء إسـعافي إلـى مشـفى الصاخـور، فلمـا وصـل المشـفى وكان أبـو يحيـى يلبـس درعـا ولـه سـلك يسـتخدم في رفـع المصـاب إلـى الطائـرات، فلمـا رأى الأطبـاء السـلك ظنـوه حزامـا ناسـفا فهربـوا، ولمـا أفهمـوا أنـه ليـس صاعقـا ولا حزامـا عـادوا وأجـروا لـه الإسـعافات اللازمـة المتوفـرة، ثـم ذهبـت لأزوره فلـم أجـد يـده، وكنـت أظـن أن الإصابـة في رجليـه فقـط، وكان نائمـا فانتظرتـه حتـى صحـا مـن نومـه، فأخـذت أكلمـه وأصبـره لأخفـف عنـه عظـم مصيبتـه، فوجدتـه صاحـب صبـر عظيـم بـل صاحـب رضـا، وأخـذ يرفـع مـن معنوياتنـا، ثـم نُقـل إلـى مشـفى بنـش لإجـراء عمليـات الترميـم، وقـال لـي: أريـدك أن تبقـى معـي، فمكثـت عنـده عشـرة أيـام أخدمـه، وكان يشـق عليـه جـدا أن أسـاعده في تنظيـف نفسـه ويتحـرج مـن ذلـك جـدا مـع أنـي مقـرب منـه جـدا، إلا أنـه كان صاحـب نفـس عزيـزة، وقـد أمضـى يوميـن وهـو يتألـم ويصـرخ: أشـعر بيـدي وبرجلـي، فقلـت لـه: هـذا طبيعـي ويجـب أن تشـعر بـه، ثـم مازحتـه لأخفـف عنـه فقلـت: هـل أحضـر لـك

جوارب؟ فقال: لا، ثم ذهبت وجاء الأخ أبو الفوارس مرافقا له، وكان شديد الحنان والعطف لا ينام أبدا طالما أن أبا يحيى مستيقظ، ثم نقل أبو يحيى إلى مشفى عقربات ورافقه هناك الأخ أبو القعقاع، وبعد أن دخل المستشفى أحدث فيها تغييرا هائلا، حولها إلى مدرسة شرعية فكان يقيم فيها حلقات القرآن، ويعطي دروسا شرعية، ويصلح بين الأطباء والممرضين ويحكم بينهم، وقد أمضى في عقربات مدة طويلة حتى اندملت جروحه وصار مستعدا لتركيب الأطراف الصناعية فسافر إلى تركيا من أجل ذلك.

ويقول الأخ أبو كنان: كنت قريبا من أبي يحيى لما أصيب، فكان يردد: لا إله إلا الله، وبعد أن تمت عملية البتر استيقظ وكان يظن نفسه قد استشهد، فلما علم أنه لا زال في الدنيا قال: (الله، هو الحور العين زعلانة منا؟)، وكانت جروحه تنظف بعد أن يخدر لشدة إصابته، وذات مرة أعطى درسا وهو مخدر فشرح اسم الله الودود.

ويقول الدكتور أبو حسين: كان يتألم جدا عند تنظيف جروحه لوجود ثقب في فخذه يدخل فيه الشاش ويخرج من الجانب الآخر، فكان يُعطى مخدرا يدعى كيتامين وهي مادة تجعل الإنسان يخرج ما في عقله الباطن فيبدأ عندئذ بإعطاء دروس ويقرأ سورة الإخلاص وقد حضرته مرتين أثناء ذلك.

في تركيا:

يقول الأخ أبو همام كنت مرافقا للشيخ في تركيا بعد أن ذهب للعلاج وتركيب أطرافٍ صناعية، فلما وصلت إلى دار الاستشفاء في الريحانية وجدت فيها إخوة من جميع الفصائل، وكان الشيخ يواسيهم جميعا ويصبرهم مع أنه كان من أشدهم إصابة إن لم يكن أشدهم على الإطلاق، وكان يؤذن في دار الاستشفاء بصوته الجميل عندما يحين وقت الصلاة، وعرف الشيخ أن مدة علاجه ستطول فتواصل معه الشيخ محمد عبد السلام وقال له: عندي معهد للمصابين وأريدك أن تدرّس، فقال لي: ما رأيك نذهب فأدرس وتستفيد أنت أيضا، فذهبنا واستمر الشيخ يدرس طيلة الدورة وكانت مدتها

شهر كامل، والمادة التي كان يدرسها أصول الفقه، وبعد انتهاء الدورة عدنا لنكمل العلاج من أجل تركيب الأطراف الصناعية، فوجدنا أن رجله بحاجة إلى عملية لإزالة التكلس وبعض الشظايا، فأدخل إلى غرفة العمليات وأجريت له العملية، فلما خرج كان يذكر الله ويقرأ، مع أنه لا يزال تحت تأثير المخدر، وأشار الطبيب التركي إليه وفم نفسه وحرك يده، ثم أشار بإصبعه الإبهام مع قبض باقي أصابع يده (إشارة تستخدم بمعنى أن الأمر جيد أو على ما يرام) ففهمت من إشارته أن الشيخ كان يقرأ القرآن أثناء العملية، وكان الشيخ طيلة مدة علاجه لا يترك النوافل، ويقول لي: نحن نخرج إلى الشارع والفتن منتشرة فعلينا بالصوم فإنه وجاء، وكان يقوم الليل وله ورد من القرآن لا يقطعه، وقد حفظت معه خلال مرافقتي له جزءا من القرآن.

ويقول الدكتور أبو حسين: وأثناء مدة العلاج لم يكن له شغل سوى مراجعة القرآن، وقد سمن قليلا لقلة الحركة فأحدث ذلك مشكلة في تركيب الأطراف، وكانت مدة بقائه في تركيا قرابة العام، وعاد إلى سوريا في النصف الثاني من عام 2014م، وقد حاول التدرب على الأطراف فلم يقدر، وقد رفض أن يبتر جزء من رجله اليسرى ليركب له طرف جيد فكان لا يستخدم إلا طرفا واحدا وأما البقية فهي للأعياد والمناسبات، وكنا نعيره بذلك ممازحين فنقول: هذه اشتريت من أموال المسلمين ثم أهملتها ولم تلبسها، فيقول: سألبسها إن شاء الله.

زواجه:

كان الشيخ بعد قطع أطرافه رافضا للزواج لعزة نفسه نظرا لحالته الصحية حتى يسر الله له امرأة تناسبه.

يقول الأخ أبو الزبير: كنت وزوجتي ندرس في بعض القرى النائية الفقيرة، فطلب منا الشيخ أبو يحيى أن ندرس في مساجد حفسرجة وأن نفتتح معهدا هناك، فيسر الله لنا الأمور ووجدنا إقبالا من الناس على المعهد، ثم إن فتاة راسلت زوجتي وطلبت منها أن تساعدها لتنفيذ عملية استشهادية، فقالت لها زوجتي: الحياة في

سبيل الله خير من الموت في سبيل الله، وأقترح عليك أن تتزوجي مجاهدا مقطوعة أطرافه الثلاث، فوافقت الفتاة، ولما عرضنا الأمر على الشيخ وذكرنا له القصة وافق أيضا، وكان بعض أهل الفتاة في بداية أمرهم رافضين لهذا الزواج، إلا أن أحد إخوة الفتاة ألح عليهم فوافقوا، وتم الزواج وكان زواجه عام 2017م، وقد استشهد بعد بضعة أشهر من زواجه وكانت امرأته حاملا، وقد وضعت بعد وفاته طفلة.

وتقول زوجته: كان رافضًا للزواج رفضًا قاطعًا، وكان يقول: لا أريد أن أتزوج لكي لا أقصر في خدمة ديني، وبعد إصابته زاد رفضه للزواج بسبب تفكير مجتمعنا الجاهل البائس، ولكن قدر الله أن أجتمع بزوجة أخ من المجاهدين وعندما رأت حبي للمجاهدين وللمهاجرين خاصة لم تتردد بعرض فكرة الزواج عليّ منه، فلم أمانع أبداً، شيء ما جعلني سعيدة عندما سمعت عنه وعرفته ورأيته، والدي الغالي كان من المشجعينَ لي وما زال رغم اعتراض البعض إلا أنه ما زال يقف بجانبي ويُساندني، تمت خطبتنا في رجب وزواجنا كان في ربيع الأول. كان لي نعم الزوج صارمًا معي بحق طاعة الله، كان دائما يحثني على الطاعات والإكثار منها، حتى إنه كان يحرمني من الهاتف لكي لا أقصر بالطاعات والعبادات.

انتقاله إلى الجانب التعليمي:

عندما قدم أبو يحيى الشام لم يكن أحد يعلم أنه طالب علم مجد، وكان هو يخفي ذلك عن الناس، ويعمل في الجانب العسكري، حتى قطعت أطرافه الثلاثة كما تقدم ولم يعد قادرا على العمل العسكري أظهر حينها علمه الشرعي، وبدأ العمل في الجانب التعليمي، فافتتح أولا معهدا لقطاع إدلب في الهيئة وكان يدرس فيه مادة الفقه، ثم افتتح بعد ذلك معهدا للأشبال، وكان يأخذ العهد والميثاق على أولياء أمور الطلاب أن يلتزم أولادهم في المعهد لمدة خمس سنين حتى لا يترك الطالب المعهد بعد سنة أو اثنتين ويضيع الجهد الذي بُذل له لينفع الأمة.

وكان يريد أن يدرس الشباب بعد ذلك في معهد قضائي ليكونوا قضاة ويسدوا هذا الثغر العظيم.

ويقول الأخ أبو الفاروق: كان صاحب مشروع ومربيا وقد ربى جيلا من الطلبة مع علو همته ونشاطه، كما كان رجلا ناصحا لا يسكت على خطأ يراه قط بل ينصح إما سرا وإما جهرا.

يقول الدكتور أبو حسين الأردني: افتتح الشيخ معهده في الشهر العاشر من عام 2014م في حفسرجة، وكان يريد التفرغ للتعليم والتدريس وإنشاء جيل يحمل الراية ويتابع السير في طريق الجهاد والعلم، كما كان يخطط لافتتاح مدرسة ثانوية محمدية لاحقا إلا أنه استشهد قبل ذلك.

بدأ المعهد مع الشيخ سراقة المكي، وكان من طبيعة سراقة أنه شديد الحماسة للشيء في بدايته ثم يتركه وينتقل إلى غيره، وهكذا فعل هنا، فأسس المعد مع الشيخ وكانا يتناوبان فيه، ثم انتقل الشيخ سراقة إلى عمل آخر وبقي الشيخ أبو يحيى، وكثر الطلاب الوافدون إلى المعهد، واشتهر أبو يحيى في حفسرجة، وصار إضافة إلى عمله في المعهد يعمل في حل مشاكل الناس إما صلحا وهو الأغلب وإما قضاء حيث تعذر الصلح، كما كان يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أخذ المسؤولون في الجبهة يرسلون أبناءهم إلى المعهد لما شاع عنه من حسن الثناء، فكان من طلابه ابن الشيخ عبد الرحيم عطون، وابن أبي عبد الرحمن زربة، وابن أبي الحسن، وابن أبي الخير، وغيرهم، وقد أتم بعضهم عنده حفظ القرآن كاملا، ووجد المسؤولون في المعهد بغيتهم، فهذا المعهد يربي أولادهم ويعلمهم ويهتم بهم، فصاروا يدعمون المعهد، فكبر المعهد، وأراد الشيخ الانتقال منه فانتقل إلى إدلب بعد تحريرها بمدة وصار مقر المعهد في قبو المركز الثقافي، وأمضى هناك ستة أشهر ثم انتقل منه لأمرين؛ الأول تأسيس الأوقاف ومطالبتها بالمكان، والثاني الخطورة الأمنية، فانتقل إلى قرية القنيطرة قرب حفسرجة وجعل مدرستها معهدا بعد أن أنفق عليها وطورها، وصار لدى الشيخ فريق تعليمي تربوي، ووصل عدد طلابه إلى ستين طالبا، وقد قسمهم إلى ثلاثة مستويات؛ متقدم ومتوسط ومبتدئ، واستقرت الأمور على ذلك، وبدأ الأثر التربوي والتعليمي يظهر على طلابه. ثم فكر الشيخ بإنشاء سلسلة من المعاهد ويكون مشرفا عليها، فأخذ بحفر مغارة

في قرية القنيطرة في بداية عام 2017م بعد أن طلب أهل القرية المدرسة التي اتخذها معهدا، واستمر الحفر عدة أشهر إلا أن الشيخ استشهد قبل إتمام الحفر، وكانت مدة المعهد من بداية افتتاحه إلى استشهاد الشيخ ثلاث سنوات.
وكان حريصا على طلبة العلم واستمرارهم في هذا الطريق.

يقول الأخ أبو فهد: إذا ترك المعهد طفل عمره اثنتا عشرة سنة كان الشيخ يزور أهله ويستفسر عن سبب تركه المعهد.

وكان الشيخ صبورا على الطلبة يهتم بهم ويرفع هممهم ويحثهم على المثابرة، ويكثر من قول: من ثبت نبت، ويحذرهم من اليأس والانقطاع، ويسعى في حل مشاكلهم.

يقول الأخ أبو عبد الرحمن جبل أحد طلابه: في آخر عام 2015م انتسبت إلى معهد الشيخ، وكنت ضعيف الحفظ لا أحفظ في اليوم كله سوى بضعة أسطر من القرآن أو نصف صفحة، فما زال الشيخ يرفق بي ويشجعني ويصبر عليّ ويرفع من معنوياتي حتى صرت أحفظ في اليوم الواحد أربع صفحات وأحيانا ثمان صفحات، ولم يكن الشيخ يتبع أسلوب الاختبار الانتقائي في امتحان الطلاب في حفظهم للقرآن، وإنما يطلب من الطالب إذا أراد اختباره أن يسرد محفوظه كاملا، وقد يكون عشرة أجزاء أو أكثر وأحيانا ختمة، ويتبع الأسلوب نفسه في اختبار حفظ المتون العلمية، وكان الشيخ يخصص يوما في الأسبوع يسميه يوم النفخ، يسهّرنا فيه إلى الفجر أو إلى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ويمضي الوقت في التثبيت للحفظ والتسميع.
ويقول: كانت تعرض لي شبهات فشكوت ذلك إلى الشيخ فقرصني قرصة آلمتني، وقال: اسمك؟ فقلت: علي، فقال: ينبغي أن يكون لقبك أبا تراب، ثم نصحني بعدم الخلوة، وأن أصلي ركعتين لله عندما تعرض لي الشبهات.

وكان الشيخ يهتم بالحفظ جدا كون الطلاب في سن صغيرة، ولا يولي الشرح كبير اهتمام، ويقول: هم الآن في سن ذهبية للحفظ، وسنشرح لهم لاحقا، وكان مقررا

على طلابه حفظ القرآن الكريم، وسلم الوصول إلى علم الأصول للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي مع تتمتها تتمة الفصول للشيخ صالح بن علي العمري، وكتاب الفقه الميسر، والآجرومية لابن آجروم، والبيقونية للبيقوني، واللامية لشيخ الإسلام ابن تيمية، والورقات للإمام الجويني، والأربعين النووية لشيخ الإسلام النووي، والأربعين الجهادية للشيخ أبي يحيى الليبي، والقصيدة الميمية في الأخلاق، وكتاب هذه أخلاقنا للخزندار، وتحفة الأطفال في التجويد للجمزوري، وطلعة الأنوار في آثار النبي المختار وهي مختصرة من ألفية العراقي في الحديث اختصرها الشيخ عبد الله بن إبراهيم الشنقيطي، وكان الشيخ يشرح سلم الوصول مع تتمتها، كما كان مقررا القواعد الفقهية للشيخ السعدي، وكان يشرحها أيضا.

وكان الشيخ يريد إنشاء ثانوية شرعية لتكون شهادة المعهد معترفا عليها، إلا أن الشهادة حالت دون ذلك.

وقد ختم قرابة خمسون طالبا القرآن الكريم كاملا حفظا في معهده برواية حفص عن عاصم.

ولم يكن الشيخ يهتم بتعليم طلابه العلم الشرعي فقط، بل كان يهتم بتربيتهم على العبادة والتخلص من أمراض القلوب، كما يهتم بتدريبهم بدنيا وعسكريا، ويترك لهم جزءا من الوقت للترفيه عن أنفسهم وإجمامها.

يقول أبو عبد الرحمن: في كل أسبوع لنا يومان يأتي فيه مدربون إلى المعهد فيدربوننا، وقد أرسلنا الشيخ مرة إلى معسكر مدته خمسة عشر يوما وأحضر لنا بدلات عسكرية، ثم أراد أن يرسلنا إلى الرباط لكنه استشهد قبل ذلك، وكان يقول لنا كثيرا: عندي خمسون طالبا، وإذا صار منهم طالب واحد كما أريد فهذا يكفي، كما كان يريد أن يرسل منا خطباء إلى بعض المساجد، فقد قال لنا قبل استشهاده ببضعة أيام: سوف أرسل كل أسبوع منكم شابين أو ثلاثة ليخطبوا الجمعة، إلا أن الشهادة كانت أعجل إليه، ولو طال به عمر لأخرج جيلا عظيما، ولكن الخوارج دمروا مشروعه.

وفي الدورة العسكرية أصاب أحد الطلاب الهدف ففرح جدا، فقال له الشيخ: احذر من العجب والغرور.

ويقول: كان الشيخ يأخذنا يوما من كل أسبوع إلى الملعب، ويعطي الطلاب ألفا أو ألفي ليرة سورية مصروفا، وفي إحدى المرات لعب معنا فوقف على رجله الصناعية واستند إليّ.

ويقول: كان الشيخ يقول لنا: علم بلا أدب نار بلا حطب، وكان يقول لنا: لا تعلق قلبك في الجهاد بأحد أيا كنا، وكان يمنعنا من إطلاق شعورنا ويأمرنا بتقصيرها. وقد أخبرني عدد من طلابه أنه كان يأمرهم بقيام الليل في الليالي العادية بجزأين أو ثلاثة وأحيانا خمسة وأحيانا عشرة أجزاء كاملة، وقد أمر مرة طالبا فصلى بالطلاب ركعتين قرأ فيهما البقرة والنساء وآل عمران.

يقول الأخ أبو عبد الرحمن: لم يكن يقبل أن يتعلم الطالب فقط، بل لا بد من العلم والأدب والعمل، وكان دائما ينبهنا إلى أن تكون لنا خبيئة من عمل صالح بيننا وبين الله لا يعلم بها أحد سواه.

ويقول الأخ أبو تميم محمبل: كان عندنا درس رياضة صباحي يوميا بعد صلاة الفجر، وكان الشيخ يخرج بعض الطلاب ليرابطوا في النقاط الباردة، وهو شديد الاهتمام بأعمال القلوب ودائم التذكير بها كي تترسخ في قلب الطالب.

ويقول أبو محمد الإدلبي: كان الشيخ كثير الذكر للسلف وعباداتهم.
ويقول أبو عبد الرحمن جبل: كنا نذهب كل أسبوعين إجازة، فكان الشيخ قبل ذهابنا يجمعنا ويحدثنا عن الثبات على الطاعة ويحذرنا من الانتكاس والتراجع أثناء الإجازة، وإذا جاء العيد ذكرنا قبل الذهاب بآداب العيد وسننه، وحثنا على صلة الأرحام وحذرنا من اللعب بالألعاب النارية ومسدسات الخرز.

ويقول أبو قتادة جدار: كان الشيخ يجمعنا كلما فترت هممنا فيحدثنا بما يرفعها، وكان مهتما بتعليمنا كل شيء وليس العلوم الشرعية فقط، كما كان يستعين بجهاز الإسقاط في تعليمنا، فكان يضع لنا السيرة النبوية للشيخ نبيل العوضي وبعض الإصدارات الجهادية، ومن تخلف عن ذلك عاقبه.

ويقول: وضع الشيخ لنا -في المستوى الثاني- برنامجا وطبعه على الورق وعين لكل غرفة مسؤولا، فكنا قبل النوم نعرض ما أنجزناه على مسؤول الغرفة، وكان عندنا امتحان في مادتي العقيدة والفقه، فقال: من ينال العلامة التامة فيهما فسأنقله إلى غرفة المتميزين، فنال ثلاثة من الطلاب العلامة التامة وكنت أحدهم فنقلنا إلى المستوى المتقدم، وصار عدد الطلاب في هذا المستوى عشرة، فجمعنا وقال لنا: أنتم لم تعودوا بحاجة إلى مشرف مسؤول عن غرفتكم، فنظموا أموركم بأنفسكم، وكنا نبذل جهودا كبيرة لننتقل من المتون التي نحفظها إلى غيرها.

وكان الشيخ أبو يحيى لا يتساهل مع الطلاب إذا رأى من أحدهم خطأ أو رأى منهم تقصيرا أو تصرفا غير محمود، بل يسارع إلى تقويمهم ويعاقبهم عقوبة رادعة لجميع الطلاب، فقد اختلف مرة طالبان من طلابه حول أمر، فأخذ أحدهما يكثر من ذكر أبيه معتزا به ومفاخرا، فغضب الآخر وقال له: أبوك ثمنه طلقة -كلمة عنترية تقال ولا يقصد الطالب حقيقتها- فوصل الأمر إلى الشيخ أبي يحيى فعاقب الطالب بمنعه من المشاركة بالترفيه، وألزمه بخدمة إخوانه من المعهد، ومنعه من التكلم مع أحد أو يكلمه أحد مدة من الزمن، كما زجر الطالب الأول ووبخه لإدخال أبيه في الخصومة.

ومرة أخرى وضع الطعام وكان أرزا فقط، فقال أحد الطلاب: لن آكل، فأُخبر الشيخ بذلك فجاء مغضبا ووقف على رأس الطالب وجعل يؤنبه تأنيبا شديدا، ويذكر له الإخوة المحاصرين في مضايا حتى بكى الطالب.
ومرة كان الشيخ يعطي درسا، فقال أحد الطلاب: صارت الساعة كذا، فغضب الشيخ، وقال: هذا سوء أدب.

وإذا غضب الشيخ على طالب فإنه يظل يومه مضطربا لا يقر له قرار ولا يهنأ بشيء حتى يرضى عنه.

وكان يمنع الطلاب من إطالة شعورهم، ويقول للطالب: ربِّ نفسك ثم ربِّ شعرك، وإذا رأى طالبا طال شعره استدعى الحلاق فقصره، وكان الشيخ يهتم بالنظافة والطيب اهتماما زائدا.

همته العالية:

كان أبو يحيى رحمه الله يتميز بهمة عالية تسامي ذرى الجبال، ولم تكن همته مقصورة على جانب من الجوانب، ولكنها متقدة في شتى المجالات في العبادة وطلب العلم والجهاد والتربية والتعليم والرياضة البدنية والتدريب العسكري وغير ذلك، أخبرني الأخ شامل فقال: كان منبعا للطاقة، فبعد إجراء عملية جراحية لأبي يحيى بعد قطع أطرافه الثلاث قال له الأخ أبو دجانة: أريد منك أن تعطيني رقما لأتصل بأهلك في مصر وأرتب لك أمور عودتك إلى هناك، فقال: ولماذا أعود؟ لقد قدمت ما أقدر عليه في الجانب العسكري ولكني لم أقدم ما لدي في الجانب الشرعي، لقد منَّ الله عليَّ بالعلم وسأعمل على نشره هنا.

يقول الأخ أبو بلال: قال أحد الإخوة مرة للشيخ أبي يحيى: أنت جاهدت وقاتلت حتى قطعت أطرافك، فاجلس واسترح ولا تخرج في المعارك، فقال الشيخ: والله لأطأنَّ بجسدي هذا أطراف بيت المقدس.

وقال له مرة بعض إخوانه ممازحا: قد قطعت أطرافك فلماذا لا تركب مفخخة وتفجر نفسك في العدو، فقال: عندي أمل أن أشهد فتح بيت المقدس.

ويقول: كان صاحب همة عالية، يأتي إليّ ويقول: سنرابط، فنخرج معا، وقد ذهبنا مرة إلى القاهرة (قرية في ريف حماة) فرابط فيها وظل مرابطا يحرض المجاهدين حتى انتهت المعركة.

ويقول الأخ أبو كنان: ذهبت إلى معركة البحصة في الغاب، فلما عدت أخبرت الشيخ أني كنت مع مجموعة الإخلاء، فتضايق جدا، وقال: إني لأعجب ممن آتاه الله قوة وصحة ثم لا يدخل مع الإخوة المقتحمين، وما من معركة تنشب إلا ويرسل الفريق العامل معه في المعهد ليخوضوا غمارها.

ومن عجيب همته ما أخبرني به الأخ أبو الزبير، فقال: كان هناك عمل عسكري لصد النظام، ووافق ذلك قتال الخوارج أيضا، وذلك في بدء فتنة الخوارج، فاستنفر الشيخ أبو يحيى الناس، ثم خرج إلى محور الدواعش، فسألته: أليس قتال النظام أفضل؟ فأجابني يجب على طلبة العلم التقدم في قتال الدواعش؛ لأنه أشق على النفس وقتالهم ليس واضحا وضوح قتال النظام الذي لم يختلف أحد في كفره ووجوب قتاله، أما الخوارج فلا زال بعض الناس عنده شك، فإذا رأوا طلبة العلم يتقدمونهم تبعوهم وزال ما في أنفسهم.

ومن عجيبها أيضا ما أخبرني به الدكتور أبو حسين الأردني وأبو همام الحموي، فقالا: كان الشيخ بعد بتر أطرافه يريد تركيب أطراف ذكية ليتابع القتال، وقد قال لصاحب الشركة أريد أطرافا تمكنني من القتال مجددا ولو كانت غالية الثمن، وقد ركب طرفين ذكيين وطرفا عاديا وكان بعد ذلك لا يلبس الأطراف كاملة إلا في الأعياد والمناسبات، أما باقي الأوقات فيلبس رجلا واحدة ويستعين في حركته بأحد الإخوة، فيكون الأخ هو يده ورجله.

ومن همته العالية أنه كان يريد أن ينفق على معاهده التعليمية من مشاريع اقتصادية ينشئها لذلك حتى لا يكلف الهيئة شيئا، وقد أقام مشروعات لتربية الأبقار والأغنام والتجارة فيها.

وكان الشيخ يزور المعسكرات ويلقي فيها دروسا على الإخوة، وقد ذهب مرة ليعطي

درسا، فجاء الطيران فانتشر الإخوة واختبؤوا، وبقي الشيخ لا يقدر على الحركة، فقصف الطيران وأصيب الشيخ بشظية في رئته، وكان ذلك عام 2015م وتم تركيب مفجرين له.

يقول أبو فهد الجزراوي: بعد أن أصيب الشيخ في المعسكر ذهبنا لعيادته، فلما دخلنا عليه رأى آثار الحزن في وجوهنا، فأخذ يصبرنا بدل أن نصبره.

تقول زوجته: إصابته لم تمنعه من جهاده الذي هاجر من أجله، بقي على بيعته التي بايعها لله منذ أول خطوة خطاها في سبيله، بقي صابرا مصابرا يحث هذا وذاك على الجهاد، وكثرٌ أولئك الذين أُصيبوا إصابات طَفيفة ثم انتكسوا وقعدوا عن الجهاد عكسه تماماً، كان لا يترك اجتماعا للإخوة إلا ويحث فيه على الجهاد والثبات، كان لي مَثَلي الأعلى بعد رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، كنت أستمد منه القوة، كان صواما قواما، لا يفوت السنن والنوافل وخاصة قيام الليل، كان شديد الالتزام به، ولا تمضي ليلة إلا وقد أقامها ولو بركعتين، كان يقول لي: أتمنى أن يُطيل الله عمري لكي أخدم الدين فأنا مقصر جدًا بحق الله والدين، وكان يردد حديث (خَيرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ) «رواه الترمذي، من حديث عبد الله بنِ بُسْرٍ الأسلمي، وَقالَ: حديث حسن».

كان يقول لي: لو بقي في عمري يوم سوف أتزوج أربع زوجات وأبتغي فيهم رضى الله سبحانه والإكثار من الذرية الصالحة للاقتداء بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تناكحوا تكاثروا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة) «عزاه السيوطي في الجامع الكبير إلى الديلمي وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، ويغني عنه ما رواه النسائي من حديث معقل بن يسار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم) وصححه الألباني».

مضى شهر رمضان وأنا معه لم أر أحدا بعبادته وزهده واعتكافه.. آخر عشرة أيام من شهر رمضان اعتكف هو وأصحابه كان اعتكافه قبل مقتله بأسبوع، ما رأيت فيه

إلا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا، عَسَلَهُ، قِيلَ: وَمَا عَسَلُهُ ؟ قَالَ: يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ عَمَلاً صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ). «رواه أحمد في مسنده من حديث أبي عنبة، وقال الشيخ الأرناؤوط: صحيح لغيره».

حسن خلقه:

حبا الله أبا يحيى أخلاقا حسنة جدا، فما من أحد عرفه إلا وأحبه، فهو سهل الخليقة دائم البشر طلق المحيا واسع الصدر عذب الكلام كثير المزاح كثير السعي في خدمة الناس.

يقول الأخ شامل: كان الشيخ أبو يحيى يكثر من زيارة المجاهدين في الجيوش أثناء تأسيسها، كما أنه كان يزور غرف العمليات.

ويقول الأخ أبو النور: كان الشيخ صاحب طرفة ومزاح، وقد زاد ذلك بعد قطع أطرافه الثلاث.

وتقول زوجته: أهل حينا كانوا لا يحبون الغرباء وبالأخص أقربائي، لكن عندما جلسوا معه جلسة واحدة صاروا بعد ذلك ينتظرون قدومه لكي يحظوا بجلسته الطيبة التي لا يُمَل منها، كان محبوبا جدًا وسيرته العطرة على لسان الصغار والكبار، كان عطوفا جدا على الأطفال، ومن الخسارة الكبيرة أنه لم ير ابنته التي كان ينتظر قدومها بكل لهفة، حتى رزقني الله بها بعد مقتله بثلاثة أشهر، كانت شديدة الشبه بملامح وجه والدها، أسأل الله أن تكون شبيهته بأفعاله وأن ترث علمه.

ويقول أبو خالد الديري: كان الشيخ متواضعا لا يتكبر على أحد، صغيرا كان أم كبيرا، عالما أو جاهلا، وكان يحل كثير من المشكلات التي تحدث في سهل الروج، ويكثر المزاح مع الإخوة في المجالس الخاصة، وكثيرا ما كان يرميهم بعكازته.

ويقول عبد الله أبو بكر: ربما أطعم الشيخ بعض الإخوة بيده، ففي ذات يوم كنت أقرأ عليه القرآن قراءة إجازة، فأطعمني لقمة بيده، وقال لي: أكمل القراءة، وكان يقول: لو كنت سليما معافى لخدمت طلبة العلم برأسي، وقد طلب مني أن أمكث في المعهد حتى أنهي القراءة كون بيتي بعيدا.

ومن تواضع الشيخ أنه كان لا يلتفت إلى جودة الطعام ونوعه أبدا، وربما أكل طعاما بدأ الفساد يسري فيه، ويقول: (الجماعة تكح تراب) كناية عن الفقر.

ويقول الأخ أبو الفاروق: كان يحب الإخوة العاملين معه وكذلك الطلاب، ويسعى لتحصيل كل ما يقدر عليه لهم، وكان مع مزاحه حازما وفيا لا ينسى معروفا أُسدي إليه.

ويقول الأخ أبو عبد الرحمن: عقد لي الشيخ قراني وساعدني ماليا، وكان يعطيني بعد زواجي عشرة آلاف أسبوعيا من بداية عام 2016م إلى أن استشهد.

ويقول الأخ أبو الزبير: كان الشيخ لا يدخل بيتا فيه طفل إلا وهو يحمل له هدية؛ إن كان ذكرا اختار له هدية تناسبه وإن كانت أنثى اختار لها هدية تناسبها، حتى إن ابنتي الصغيرة كانت إذا رأت صورته تبكي طلبا له لشدة إحسانه لها، وكان قبل العيد يذهب إلى المنظمات ويأخذ منهم الهدايا ثم يوزعها على الأطفال بعد صلاة العيد.

ويقول الأخ أبو حذيفة نحليا: كان الشيخ أبي الثاني، وقد تمكن من تحويل عدد من الأشبال من رعاة أغنام إلى طلاب علم، كان صادقا وصبورا طاهر القلب وقد علم تلاميذه ذلك.

ويقول الأخ أبو همام: قال الشيخ مرة لوالدي: زوّجه، فأجاب أبي لا مال لدي، فقال لي: تزوج ولك عندي ألف دولار، وبعد عدة أشهر قال لي: وجدت لك عروسا ولكن إذا ناسبتك وتزوجتما فأنا في حلٍّ من الألف دولار التي وعدتك بها -وكان وقتها في

ضائقة مالية- فلم تكن تلك الفتاة من نصيبي، فكان يبحث لي عن زوجة أكثر من بحث أمي ليتخلص من وعده لي، ثم قدر الله أن تزوج من غير طريقه، فجئت إليه وأخبرته، فقال: أنت ترى صعوبة الحال فهل تقبل بمائتين وتسقط الباقي، فقلت: نعم، فدفع إلي مائتي دولار.

ويقول عبد الله أبو بكر: عندما خطبت قدم لي مائة دولار، وقال: أنا سأدفع تكاليف زواجك إلا أنه استشهد قبل ذلك.

ويقول الأخ أبو النور المهاجر: كان كثير الزيارة للإخوة المجاهدين وقت الأعمال العسكرية، وكان يجلس معهم ويعطيهم دروسا عن الثبات والصبر.

ويقول الأخ أبو عبد الله الحموي: في أثناء شن النظام لحملاته العسكرية كان أبو يحيى يجلس مع المجاهدين ويحدثهم عن الصبر والمصابرة ويدعمهم نفسيا ومعنويا ويذكر آيات من كتاب الله ثم يفسّرها وينزِّلها على الواقع، وقد فسّر لنا مرة سورة الفيل وشبه النووي في عصرنا بالفيل فيما مضى، وقال: إن صبر المجاهدين يؤدي إلى نصرهم ولو كان هناك فارق بالتسليح.

ويقول الأخ أبو بلال: كان يزور الجرحى بعد المعارك ولو كانت بيوتهم بعيدة ومرتفعة؛ فقد كان يزور بعض الجرحى في حارم ويصعد إلى الطابق الثالث أو الرابع، مع أنه يلاقي مشقة شديدة في ذلك كونه مقطع الأطراف، ويصعد برجل صناعية مع الاتكاء على أحد الإخوة.

وقد ألقى الله لأبي يحيى المحبة في قلوب الناس مدنيين كانوا أم عسكريين، فكانوا يتحاكمون إليه ويرضون بحكمه ويخضعون لقوله.

يقول الأخ أبو فهد: كان الناس من الفصائل والمدنيين في سهل الروج يتقاضون عنده.

ويقول أبو خالد الديري: أحب الشيخَ كلُ من عرفه حتى أنه لما قتل قال أحد كبار السن: شعرنا أن بركة رفعت من منطقتنا بمقتله.

ويقول الأخ أبو قتادة الإدلبي: تعرفت إلى الشيخ عند دخوله إلى سوريا كون والدي كان يقوم باستقبال المهاجرين، وقد مكث الشيخ عندنا يومين ثم انتقل إلى مقر بن لادن في جدار، وبعد تأسيس معهده وانتقاله إلى المركز الثقافي زارنا مرة وأخذ يحدثني عن معهده الذي افتتحه للأشبال فاقتنعت به وذهبت إليه، فلما دخلت أمسك بيدي وأجلسني بقربه وحدثني عن طلب العلم وبر الوالدين، ثم قال: سنرى عزمك، ثم دفع إليّ مصحفا وقال: ابدأ بالحفظ فورا، ولم أكن أحفظ سوى جزء عم، فبدأت أحفظ ما يسر الله لي، ثم انتقلنا إلى مدرسة القنيطرة وأتممت حفظ خمسة أجزاء وبدأت بحفظ بعض المتون، وزاد حبي للشيخ حتى إني صرت أقلده في كل شيء ورجوت أن أصبح مرافقه، وكان إذا طلب مني مساعدة في شيء ما كالوضوء أشعر بسعادة غامرة وكأني حزت كنزا عظيما.

ويقول أبو الدرداء محمبل: عندما قدمت إلى المعهد كنت خائفا جدا من الشيخ؛ فقد سمعت عن شدته كثيرا، إلا أني لما حضرت أول درس استمتعت كثيرا، وكان الشيخ يدرسنا تفسير قصار السور ويستخرج منها الدروس والعبر والتوجيهات الربانية، وكان ضليعا في اللغة العربية يعرب الآيات أو يطلب منا ذلك، وكنت لا أزال خائفا منه، ولشدة خوفي منه رأيت مرة في المنام أنه ذا جسد ضخم وهو يهددني، وكان الشيخ من عادته أن يسألنا: ماذا رأيتم في المنام، فقصصت عليه ما رأيت، فقال: لأنك لست مجتهدا، ثم كسر حاجز الخوف عندما رأيته يشاركنا في الترفيه، وقد حفظ الشيخ اسمي مباشرة وكان ينادي به.

ويقول أبو عبد الرحمن جبل: أقام الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب معرضا للكتاب في أطمة عام 2017، فاصطحبنا الشيخ إلى هناك فاشترى بعض الطلاب كتبا ولم يكن معي مال لأشتري، فاشترى لي الشيخ كتابين وأهداني إياهما.

وقد أسس الشيخ للمعهد مكتبة ضخمة وحدد أوقاتا للمطالعة، وأعطى الطلاب محاضرات في مادة المكتبة والتخريج، وبعد استشهاده نقلت المكتبة إلى مسجد سعد بن أبي وقاص في إدلب ليعم الانتفاع بها.

وكان الشيخ مشهورا في الناس بالحكم العادل وقول الحق ولو على نفسه، وله في ذلك قصة طريفة أخبرني بها عدد كبير من الإخوة الشهود الذين ذكرتهم في المقدمة، وهي أنه الجبهة طردت المفسدين من قرية حفسرجة وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم شهداء حفسرجة، واسم قائدهم عبد المنعم غنوم، واستولت على القرية، فرأى الشيخ أبو يحيى بناء أعجبه وكان مقرا للفصيل الذي طُرد من القرية، وهو في الأصل مدجنة وأرض، فاتخذه معهدا وأنفق عليه ما يلزم ليكون معهدا، فعلم أصحاب البناء أنه صار تحت يد الشيخ، وكانوا لا يجرؤون أن يطالبوا الفصيل به اتقاء شرهم، فأتوا إلى الشيخ وطالبوه بتسليم البناء لهم وأثبتوا ذلك، فخرج منه وسلمه لهم، ولم يطالبهم بشيء من المال الذي وضعه لإصلاح البناء. وكان الشيخ يكثر من ممازحة الطلاب في المعهد، وقد اجتمع فيه إلى ذلك هيبة عظيمة.

يقول الأخ أبو عبد الرحمن جبل: كان الشيخ يمازحنا فينادي بعض الشباب: جعبوب، ومع ذلك كنا نهابه هيبة شديدة ولا نقدر على أن نحد النظر إليه، ولم أكن أهاب أحدا قط كما أهابه، في إحدى المرات طلب منا أن نصلي القيام بعشرة أجزاء، فلما انتهينا أردنا أن ندخل إلى المهجع لننام وقد تعبنا تعبا شديدا، وكان الشيخ نائما في المهجع فلم نقدر على الدخول، بل جلسنا ننتظر خارجا وطال انتظارنا ولم نجرؤ أن ندخل، حتى طلبنا من الشيخ أبي أسامة أن يُدْخلنا ففعل، وكان الشيخ إذا جلس ليأكل معنا شعرنا بحياء شديد، فكان الشيخ يقول لنا: عدم الأكل جيدا دليل على سوء الحفظ، الأكل على قدر الدراسة، ولم يكن مراد الشيخ أن يأكل الطلاب كثيرا إنما أراد ألا يشعروا بالحياء والحرج منه عند الطعام وإلا فإن الشيخ كان يقول لهم بعدُ كما أخبرني الأخ أبو تراب كفر حلب: من أكل كثيرا نام كثيرا وأضاع كثيرا، وإذا رأى طالبا متأخرا كان يقول: لا يزال أناس يتأخرون حتى يؤخرهم الله.

ويقول أبو عبد الرحمن الشيخ يوسف: لما انتقل الشيخ إلى المركز الثقافي في إدلب كنا نحن الطلاب الكبار في الطابق العلوي والأشبال في الطابق السفلي، وكان الشيخ يعتبر نزول الطلاب إلى الطابق السفلي ضياعا للوقت، فنزلت مرة لأحضر سكرا وشايا، فلما أردت الصعود كان لا بد لي من المرور أمام غرفة الشيخ، ففُتح بابها، فظللت أنتظر نصف ساعة حتى أُغلق باب الغرفة فصعدت.

صبره:

في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْر)، وقد آتى الله تبارك وتعالى أبا يحيى المصري حظا وافرا من الصبر، كان يتعجب إخوانه من صبره، يقول الأخ شامل: التقيت به في تركيا في المستشفى بعد قطع أطرافه فأخذ يصبرني بدل أن أصبّره، ويقول: انظر إلى هؤلاء المرضى حالي أفضل منهم جميعا، فلما نظرت إذا بإصابته مع شدتها يسيرة مقارنة بغيره.

ويقول الأخ أبو أسامة: بعد أن أصبت وبترت قدمي عادني الشيخ مرتين في دار الاستشفاء ليصبرني ويرفع همتي، وكنت آنس بزيارته كثيرا، وقال: ليس المبتور معاقا إنما المعاق معاق الضمير، وبتر الطرف ليس شيئا وقد بترت أطرافي الثلاثة ولم يؤثر ذلك على عملي في الدعوة، وغدا ستخرج إن شاء الله وتذهب لترابط، وكان الشيخ بعد ذلك يرسل بعض الشباب فيحضرونني إلى معهده لأروح عن نفسي، وكان عندما يخرج جولة إلى نقاط الرباط يأخذني أحيانا معه.

مزاحه:

كان الشيخ خفيف الظل جدا يكثر من ممازحة طلابه.

رأى مرة ثلاثة من الطلاب وكان فيهم سِمَن مجتمعين على صحن يأكلون منه، فقال لهم: كان الله بعون هذا الصحن.

ومرة قال لطلابه: أشعر أن أجلي قد اقترب، فسأله بعضهم: متى؟ فقال: أشعر أني سأستشهد بعد خمسين عاما.

وكان قبل زواجه إذا بلغه أن أحدا من الطلاب يريد أن يتزوج، قال له: ماذا قدمت للأمة حتى تتزوج؟

وتثاءب أحد الطلاب مرة أثناء الدرس ولم يضع يده على فيه، فالتفت الشيخ إلى جهة غير الجهة التي فيها الطالب، وقال لطالب لم يتثاءب: ضع يدك على فيك. ويقول أبو خالد الديري: ذهبت إلى معهد وكان الطعام فيه قليلا، فلما التقيت بالشيخ سألني: لماذا أصبحت هيكلا عظميا، فقلت له: من الجوع، لا نأكل إلا وجبة ونصفا في اليوم، فأحضر لنا عددا من المعلبات، فقلنا: هذا ممنوع، فقال: أدخلوها تهريبا.

عبادته:

كان الشيخ كثير التعبد لله تبارك وتعالى حتى إنك عندما تسمع أخبار عبادته تظن أنك تسمع عن رجل عاش في زمن السلف والصدر الأول من التابعين، ولم يكن يقتصر في شدة التعبد على نفسه، بل كان يلزم طلابه في المعهد بذلك ويشتد عليهم، وله صوت جميل يتغنى به في القرآن، كما كان يجلس مع الطلاب وينشد لهم بصوته العذب الرائق.

يقول الأخ أبو الزبير: كان الطلاب في معهده ينامون أثناء صلاة القيام لطولها، وكان يلزمهم بصيام يومي الاثنين والخميس.

ويقول أبو عبد الرحمن جبل: كان الشيخ صاحب عبادة وخاصة في قيام الليل، كنت كلما استيقظت في الليل وأنا في المعهد أجده يصلي، وكان يذكر لنا عن أصدقائه في مصر أنهم يقومون الليل بختمة، وربما أمضى الشيخ أبو يحيى الليل كله يصلي. ويقول الأخ أبو يوسف: عندما كنت مع الشيخ مرافقا في تركيا كان يوقظنا لصلاة

قيام الليل، وأخلاقه عالية جدا، ومن قصصه في ذلك أنني كنت أنزله كل يوم من الطابق الثاني بالمصعد إلى مركز العلاج الذي يبعد مائتي متر عن المكان الذي نسكنه ونقطع هذه المسافة مشيا ليعتاد المشي على الأطراف الصناعية، وذات يوم دخلنا المصعد وأردت ممازحة الشيخ فضغطت على الرز رقم أربعة بدل أن أضغط على زر النزول، فقال الشيخ: ماذا تفعل؟ ثم ضغط على زر النزول فعدت وضغطت على زر الصعود الطابق الرابع، وتكرر الأمر مرارا، وإذ بالمصعد يتعطل ونحن في الطابق الرابع، فغضب الشيخ جدا لكونه كان يتألم جدا إذا نزل الدرج، فقلت له: كنت أمزح ولم يكن أمامنا من حل إلا النزول على الأقدام، فكان الشيخ يتكئ علي بطرفه الصناعي ويتكئ بيده اليسرى على العكاز ويعاني آلاما شديدة أثناء النزول، فقلت له: أحملك؟ فقال: لا، ولم نصل إلى الشارع إلا بشق الأنفس وبعد معاناة رهيبة، فكان الشيخ يقول لي: أشكيك إلى الل..... ويمط اللام ولا يكملها.

ويقول: لما عدنا من تركيا إلى سوريا دخلنا من معبر باب الهوى، وكان دخولنا يوم عرفة وكنت والشيخ صائمين منذ أن أهل هلال ذي الحجة، وهناك مسافة بين المعبرين علينا أن نقطعها مشيا، وكان الشيخ على الكرسي المتحرك وأنا أدفعه، والشارع فيه ارتفاع، فدفعت الكرسي حتى انتهى الارتفاع وقد تعبت جدا، فلما بدأت أدفع الكرسي في الشارع المنحدر أفلت الكرسي من يدي وصار يسير بسرعة وأنا أركض خلفه والشيخ يستغفر الله، وأدركته في اللحظة الأخيرة وقد سقط الشيخ نصف سقوط واستند بيد إلى الأرض، وقال لي: كدت أن تقتلني، ثم اعتذر مني، وقال: أنا متعب.

ويقول أبو كنان: كان الشيخ إذا أخطأ بحق أحد لا ينام حتى يستسمحه.

ويقول أبو محمد الإدلبي: كان كثير ذكر الله، وكان يخرج إلى نقاط الرباط ويعطي الإخوة هناك دروسا، وقد عزم على تأسيس جمعية خيرية تجمع الزكاة لمن يرغب بدفع زكاته لها وتوزعها على مستحقيها، وحضر عدة اجتماعات مع عدد من المشايخ لأجل ذلك ولكن الأمر لم يتم، وكان قبل الزواج يمضي معظم وقته في المعهد ولا يخرج إلا إلى اجتماع أو زيارة، فقد كان له حضور في المنطقة يشارك الناس في

أفراحهم وأحزانهم والمناسبات العامة وعيادة المرضى ويصطحب معه بعض الإخوة العاملين في المعهد.

ويقول أبو خالد الديري: كان يزور نقاط الرباط والمقرات والسجون ويعظ المعتقلين، ويجلس مع الطلاب والمجاهدين وينشد لهم بصوته العذب الجميل.

ويقول أبو تميم محمبل: كان لسان الشيخ دائما يتحرك بذكر الله، وكان كثيرا ما يذكرنا أن ننوي التقوي على طاعة الله عندما نأكل، وكان ينهانا عن الأكل من وسط الصحفة لأن البركة تنزل وسطها (روى أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: «البَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطعَامِ؛ فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلاَ تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ») وكان يحثنا على التنافس في الطاعة وطلب العلم.

ويقول أبو خالد الديري: كان الشيخ مواظبا على قيام الليل، لا أذكر أني استيقظت مرة قبل الفجر إلا ووجدته يصلي.

وتقول زوجته: كان مكثرا من الصدقات بارا بوالديه شديد الحرص على إرضائهم وإرضاء إخوانه وأخواته، كان محبوبا من قبل أفراد حَيِّه.

ويقول الأخ أبو قتادة: طلب مني الشيخ في رمضان أن أستمع له فجلست فقرأ في جلسة واحدة عشرة أجزاء كاملة، فكان إذا أخطأ أشرت له فصحح لنفسه بنفسه ولم أرده قط، وقد شكوت له مرة تعذر حفظ صفحتين علي حتى كاد أن يدخل وقت الظهر، فقال: صل واقرأهم في صلاتك من المصحف وكررهم في صلواتك، ففعلت ما أمرني به فأتقنتهم.

ويقول أبو عبد الرحمن جبل: عمل الشيخ صندوقا للنصائح، فكان الطالب يكتب ما شاء من النصائح ثم يضعها في الصندوق، فيأخذها الشيخ ويقرؤها.

فالشيخ لا يستكبر عن قبول الحق بل يقبل النصيحة وينصح إخوانه.

يقول عبد الله أبو بكر: كان الشيخ حريصا على نفع طلبة العلم يريد أن يطلبوا علما صحيحا وبشكل صحيح، رآني ذات يوم وكنت أدرس في بعض المعاهد فطلب مني أن أطلعه على المنهاج، فرأى خللا في مادة العقيدة فقال: لا تتابع في هذا المعهد وأرشدني إلى غيره.

ويقول أبو عبد الرحمن جبل: كان الشيخ يقيم لنا مسابقات في القرآن من أجل تثبيت حفظ القرآن، فمن سمّع بدون أخطاء فله جائزة، وكان الشيخ في رمضان لا ينام إلا بعد طلوع الشمس، وأما الطلاب فيترك لهم أربعين دقيقة قبل السحور ليستريحوا فيها.

وكان الشيخ يتألم لفقد طلبة العلم العاملين لندرتهم.

يقول عبد الله أبو بكر: زارنا الشيخ أبو يحيى في المعهد العلمي بعد مقتل الشيخ أبي فهد الجزراوي وكان متألما جدا، فكلمنا بحرقة شديدة وطلب منا الجد والاجتهاد لنسد الفراغ الذي خلفه استشهاد الشيخ أبي فهد رحمه الله.

بره بوالديه:

كان الشيخ أبو يحيى شديد البر بوالديه شديد السعي لإرضائهما والبعد عن كل ما يزعجهما، ويحرص جدا على مشاعرهما أن تجرح، ومن عجيب أخباره في ذلك أنه لما أصيب وبترت ثلاثة من أطرافه لم يُعلم بذلك والديه بمصر حتى لا يدخل حزن على قلوبهما، واستمر على إخفاء هذا الخبر عنهما حتى استشهد، وكان إذا أراد أن يرسل لهما صوره لبس الأطراف كاملة ثم أمر المصور أن يصوره بشكل لا يظهر فيه شيء يريب، ثم يرسل الصور، ولم يعلم أحد من أقربائه بمصر خبر إصابته إلا أحد إخوته واستكتمه الخبر.

شهادة الأخ أبي عبد الرحمن الشيخ يوسف:

تعرفت إلى الشيخ أبي يحيى في بداية عام 2015م وكان قائما على معهد شرعي في حفسرجة لإعادة تأهيل العناصر القدامى وتأهيل المنتسبين الجدد، وكان يختار من كل دورة أربعة أو خمسة وأعمارهم ما بين الستة عشر إلى العشرين عاما ثم بدأ معهم بدورة أولى سماها المتقدمة، وقد اختارني في عشرة من الشباب ووضع لنا برنامجا يتضمن حفظ صفحة من القرآن يوميا بالإضافة إلى حفظ متن الآجرومية وعمدة الأحكام والجزرية ومائتي سؤال وجواب في العقيدة، وكان يستمع يوميا لما حفظناه، واستمر على ذلك عدة أشهر، ثم بدأت الدورات الصيفية بعد انتهاء العام الدراسي فنصب الشيخ خيمة كبيرة وحولها أربع خيم صغار لاستقبال الأطفال وتدريسهم، ودعا إلى معهده الجديد القرى المجاورة، فتقدم قرابة مائة طفل، وكان برنامج الأطفال حفظ جزء عمَّ، وقسَّم الأطفال إلى حلقات وعهد بكل حلقة إلى أحد الطلاب الكبار الذين يدرسهم في الدورة المتقدمة، واستمر معهد الأشبال هذا لمدة شهرين حيث عاد الطلاب بعدها إلى المدارس، واختار الشيخ من معهد الأشبال عشرة.

وعندما قامت معركة تحرير مدينة إدلب منعنا من المشاركة فيها لاعتبارات لم يذكرها لنا، وخلال وجودنا في حفسرجة أقام الشيخ دورة في الخطابة وسلّم طلابه اثني عشر مسجدا في حفسرجة والقرى التي حولها، وبعد تحرير مدينة إدلب أخذ المركز الثقافي فيها وجعله معهدا للأشبال وانشغل بهم انشغالا تاما، فاعتذر عن المتابعة معنا فالتحقنا بمعهد الإمام الشافعي، وبقينا في المركز الثقافي، وأخذ الشيخ أبو يحيى يستقبل مزيدا من الأشبال من عمر عشر سنين إلى خمس عشرة سنة، وكان يدير المعهد معه أبو مضاوي الجزراوي وأبو أسامة الجزائري، وكان جل اهتمام الشيخ مركزا على تحفيظ الطلاب القرآن الكريم وعددا من المتون العلمية، وبهذا يشغل وقتهم، ثم طُلب منه المركز الثقافي، فأخذ بتجهيز مدرسة في قرية القنيطرة قرب حفسرجة فبنى فيها أماكن للوضوء وأصلح التمديدات المائية والكهربائية وانتقل إليها وجعلني معه مشرفا على معهد الأشبال، وقسَّم الطلاب إلى ثلاثة مستويات؛ مبتدئ، ومتوسط وهو من يحفظ أقل من خمسة أجراء،

ومتقدم وهو من يحفظ أكثر من خمسة أجزاء من القرآن، وأضاف إلى حفظ القرآن حفظ بعض المتون العلمية كالأربعين النووية وسلم الوصول والبيقونية، وبعد الانتهاء منها إضافة إلى ختم القرآن أو إتمام خمسة عشر جزءا كانوا يحفظون نظم الورقات في الأصول وطلعة الأنوار في المصطلح، ويقوم الشيخ بعمل اختبارات لهم، وبعد الانتهاء من هذه المتون وكان الشيخ قد شرح لهم سلم الأصول والآجرومية وامتحنهم في ذلك بدأ بعض الطلبة بحفظ الجمع بين الصحيحين للشيخ اليحيى، وبدأ الشيخ بشرح شذور الذهب لهم، إلا أنه سرعان ما اغتيل رحمه الله.

وفي رمضان كان الشيخ يوقف كل شيء تقريبا سوى حفظ القرآن وتثبيته، وإذا صلوا الفجر في رمضان جلس الشيخ مع الطلاب يذكرون الله إلى طلوع الشمس، ثم يسمح لهم بالنوم إلى الساعة الثامنة صباحا، ثم يكون أول من يستيقظ فيوقظهم وتبدأ مراجعة القرآن إلى صلاة العصر، ولا يوجد خلال ذلك استراحة، وقبل الإفطار يجلس معهم قليلا، ثم يقرؤون أذكار المساء، ثم يصلون المغرب ويفطرون ويشربون الشاي ويجلس الشيخ مع الإخوة القائمين على المعهد، ثم صلاة التراويح ويختم القرآن فيها مرتين؛ مرة في العشرين الأول والثانية في العشر الأخير، وقد اعتكف الشيخ مع الطلاب في العشر الأخير في مسجد عرب سعيد وأعطاهم سلسلة عن أشراط الساعة.

شهادة الشيخ أبو دجانة المصري:

كانت بداية معرفتي بالشيخ أبي يحيى في تركيا عندما كنت خارجا للعلاج بعد إصابتي، فقابلته في معهد الشيخ محمد عبد السلام، وكنت خارجا من العمل الجراحي منذ قليل، وكان الشيخ في تركيا من أجل العلاج أيضا.

لا أتذكر أبدا أني رأيته عابسا قط، فهو دائم التبسم وابتسامته مميزة.

كانت إصابته كما هو معلوم شديدة وبترت فيها رجلاه ويده، ومع إحساسي بالألم وشيء من العجز، إلا أني استحييت من نفسي أن أظهر التألم والشيخ إصابته أشد

منـي بكثيـر، ومـع ذلـك كان يعيـش بشـكل طبيعـي جـدا، فـكان سـببا كبيـرا لثباتـي، ثـم عرفـت الشـيخ أكثـر في الداخـل في معهـده الشـرعي، وحينمـا كنـت أذهـب لزيارتـه كان إيمانـي يرتفـع ممـا أرى.

وأذكـر أنـه قـام بدعـوة بعـض المشـايخ مـن الخـارج ومنهـم شـيخ لا أتذكـر اسـمه إلا أنـه مـن موريتانيـا مـن الشـناقطة لإقامـة الـدورات العلميـة، وكنـت أستشـير الشـيخ أحيانـا في بعـض الحمـلات الدعويـة، مثـل حملـة التحذيـر مـن سـب الله، فاسـتفدت منـه والحمـد لله.

شهادة الشيخ أبي القاسم المصري:

رحمـك الله يـا أبـا يحيـى، رحمـك الله لقـد كنـت قـدوة تقتـدى ومثـالا يحتـذى وهمـة تبعث الهمـم وصيحـة تحيـي الأمـم، رحمـك الله يـا أخـي أسـأل الله أن يجمعنـا بـك في الفردوس الأعلى مـن الجنـة مـع النبـي المصطفـى صلـى الله عليـه وسـلم وصحبـه الميامين الغـرر، لقـد شـاء الله تبـارك وتعالـى أن تكـون أول صحبـة لـي مـع أبـي يحيـى في طلـب العلـم، فلقـد كان الشـيخ رحمـه الله رحمـة واسـعة يحضـر معنـا في مجالـس متفرقـة في تلقـي العلـم، ومنهـا أنـه حضـر معنـا مجالـس سـماع سـنن أبـي داود لشـيخنا المحـدث المدنـي حامـد بـن أكـرم البخـاري، وحضـر معنـا أيضـا مجالـس سـماع موطـأ مالـك مـن طريـق محمـد بـن الحسـن الشـيباني رحمـه الله، وكذلـك حضـر معنـا الشـيخ شـرح النخبـة، وحضـر شـرح العقيـدة الواسـطية وشـرح متـن الجزريـة وغيرهـا مـن الكتـب، ثـم شـاء الله تبـارك وتعالـى أن يكتـب لـي الهجـرة إلـى أرض الشـام ونلتقـي بعـد سـنوات، وفي أول لقـاء لي لـم أتذكره إذ إن الشـيخ رحمـة الله عليـه تعـرض لإصابـة في سـبيل الله وأدت إلـى فقـده ثلاثـة مـن أطرافـه قدميـه وإحـدى يديـه، وأصبـح الشـيخ بدينـا بعـض الشـيء، ولكـن الشـيخ كان ذا ذاكـرة قويـة فذكرنـي بنفسـه فتذكرتـه رحمـه الله، ثـم شـاء الله أن أعمـل مـع الشـيخ في نفـس القاطـع، وكان هـو المسـؤول الشـرعي في القاطـع الغربـي، ومـا هـي إلا أيـام قليلـة حتـى اعتـذر الشـيخ رحمـه الله وأصـر أن أكـون أنـا المسـؤول الشـرعي للقاطـع مـن أجـل أن يتفـرغ هـو لمعهـد قـد أقامـه للأشـبال في قريـة القنيطـرة وهـو وراث لمعهـد سـابق كان قـد أمامـه في قريـة حفسـرجة.

وكان من يتأمل حال الشيخ رحمه الله يراه على ما به من جراح عالي الهمة فما من موطن من المواطن إلا وللشيخ فيه قصب السبق، فكان يذهب إلى الرباط والمعارك، وكان الشيخ رحمه الله معلما ومربيا وداعية إلى الله تبارك وتعالى.

كان الشيخ رحمه الله يعيش لأمته وإخوانه أكثر مما يعيش لحياته ولنفسه، فكان رحمه الله على كثرة ما به من جراح يزور إخوانه يعود مريضهم ويتخولهم بالموعظة ويواسيهم، وكان الشيخ رحمه الله رجلا متعففا لا يقبل هدية ولا أعطية من أحد إلا من بعض إخوانه المقربين منه، وكان كثيرا ما يأخذ من إخوانه فيردها على غيرهم، ولا أنسى أنه بعد أن قُصف منزلي وأصبت قام الشيخ رحمه الله على كثرة ما فيه من جراح وأخوه ورفيق دربه أبو مضاوي الجزراوي على خدمتي ورعايتي وكأني بين أهلي وإخواني، ولا أنسى آخر لقاء لي مع الشيخ جلست معه فحكى لي بعض همومه، فذكرته بالصبر على مشقة الطريق.

كان الشيخ رحمه الله رجلا ذا همة وذا بصيرة، رزقه الله تعالى إياهما، ويشاء الله تبارك وتعالى أنه في اليوم الذي لقي فيه ربه كنت عازما على زيارته في المكان الذي ارتقت فيه روحه، ولكن شاء الله أن أتأخر بضع دقائق فلقي الشيخ ربه على يد ثلة مارقة، لقي ربه بين طلابه وهو يتلو آيات ربه، وكان صائما في أغلب ظني، لقي ربه في المكان الذي بناه لبنة لبنة ليخرج جيلا يحمل راية الإسلام ويقيم الجهاد على بصيرة، فرحمك الله يا أبا يحيى فسجاياك كثيرة وسيرتك حميدة.

ولقد رأيت الشيخ رحمة الله عليه بعد موته ببضعة أيام، رأيته بقدميه وأطرافه صحيحة معافاة كما كانت، وكان سعيدا مسرورا، فرحمك الله يا أخي وأسأل الله لك الفردوس الأعلى من الجنة.

شهادة الدكتور أبي عائشة المصري:

كنت ألتقي بالشيخ تقبله الله بشكل شبه يومي ومع أنه أكبر مني سنا لكنك تشعر أنه أب ويحمل همومنا، وبما أني أعمل في صيدلية الهيئة فقد كان يطلب

منـي علـب حليـب لأطفـال الإخـوة الفقـراء أو دواء لهـم، وكذلـك نتعـاون في تأميـن مبلـغ مالـي لبعـض الإخـوة المحتاجيـن حتـى يجـوز أزمتـه، كمـا كان يتدخـل في حـل المشـاكل وإصـلاح ذات البيـن بيـن الإخـوة بشـكل عـام، وهمتـه العاليـة تدفعـه فيذهـب إلـى المعسـكرات ويحفـز الشـباب ويشـحذ هممهـم، كان يعمـل لتربيـة جيـل قرآنـي وكـرس كل جهـده لأجـل ذلـك كان الأطفـال مرتبطيـن بـه جـدا فهـو يجلـس معهـم ويحاورهـم ويسـمع منهـم ويجيـب على تسـاؤلاتهم، وكان سـيفا مصلتـا على رقـاب الدواعـش يفضـح زيفهـم ويكشـف كذبهـم وتضليلهـم رحمـه الله تعالـى وتقبلـه في الشـهداء

استشهاده:

في تاريـخ 4/ 7/ 2017م كان الشـيخ كالعـادة في معهـده في قريـة القنيطـرة، فأرسـل الخـوارج سـيارة مفخخـة إلـى معهـده، وكان سـائقها شـخصا أعجميـا فلمـا دنـا مـن المعهـد كبـر ثـم فجّرهـا، وكان المعهـد مكتظـا بالطـلاب، فسـقط الحائـط الشـرقي واشـتعلت النيـران بشـكل الهائـل، واستشـهد الشـيخ أبـو يحيـى مـع أربعـة مـن المشـايخ وأربعـة طـلاب، وجـرح عـدد كبيـر مـن الطـلاب.

يقـول أبـو محمـد الإدلبـي: كان الشـيخ يأتـي إلـى المعهـد عـادة في التاسـعة، فلمـا كان اليـوم الـذي استشـهد فيـه جـاء في العاشـرة، فجـاء وصلـى الضحـى كعادتـه، وبعـد أن انتهـى جئتـه فسـلمت عليـه، وكان جالسـا على الكرسـي، ولأول مـرة شـعرت أنـه في رده السـلام يودعنـي فلـم يكـن سـلامه كالعـادة، سـألني: كيـف حالـك؟ فقلـت: الحمـد لله، فقـال: شـد حيلـك وكان الله بعونـك، وكان هـذا آخـر موقـف بينـي وبينـه.

ويقـول أبـو تميـم محمبـل: قبـل يـوم مـن استشـهاد الشـيخ بدأنـا بقـراءة القـرآن عليـه قـراءة إجـازة بروايـة حفـص عـن عاصـم، وكان ذلـك لطلابـه المتقدميـن فقـط، فقرأنـا في

اليوم الأول نصف حزب، وفي اليوم الذي يليه قرأنا نصف حزب، ثم قال لنا: خلال شهرين سننتهي من الإجازة بإذن الله، ثم استشهد بعد ساعتين.

يقول أبو عبد الرحمن: لما اشتعلت النار بعد التفجير حاصرت الطلاب في إحدى الغرف، فكان أمامهم خياران؛ إما اقتحامها والخروج بحروق أو الموت خنقا أو حرقا، فمنهم من اختار الخيار الأول ومنهم من اختار الخيار الثاني.

ويقول أبو الزبير: كان الشيخ شديدا على الخوارج يفضحهم ويبين عوار مذهبهم وفساد منهجهم وسوء سلوكهم، وقد وصله من الدواعش تهديد كثير فكان يأخذ حذره قدر المستطاع، إلا أن الحذر لا يغني من القدر، فقد كنت مع الشيخ في غرفة الإدارة في يوم التفجير، وكان يضع خطة عمل للفصل الدراسي الجديد، ومعه عدد من الإخوة وهم أبو الحارث الليبي وقعقاع عرب سعيد وأبو أسامة الجزائري وأبو مضاوي الجزراوي، فاستأذنت كون وقت درسي قد حان، فلما خرجت من الغرفة ودخلت إلى الصف وسمعت من أحد الطلاب صفحة من القرآن حدث الانفجار، وكان الأمر مهولا، أصوات الاستغاثة تملأ أرجاء المعهد، وبعض الطلاب يحترقون، وكانت النار شديدة فلم نتمكن من الدخول إلى الإدارة وإنقاذ من بداخلها، وكان الشيخ يردد: لا إله إلا الله والله أكبر.

ويقول الدكتور أبو حسين: لما فجر الخارجي السيارة كان هناك خارجي آخر يصور العملية، وقد تمكن المجاهدون من القبض عليه وهو أعجمي أيضا، وتبين أن المصور والمنفذ لا يعرفان عن المكان شيئا سوى أنه مقر للمرتدين، ومن خبث الدواعش أنهم يجعلون المنفذ غير الراصد وغير المصور، وقد تناثرت الأشلاء هنا وهناك بعد التفجير، وقتل عدد من الطلاب والمشايخ، ثم افتتح المعهد ثانية فاغتال الدواعش ثلاثة مشايخ من العاملين فيه، وهم الشيخ أبو حيدرة الليبي والشيخ أبو الزهراء قنيطرة والشيخ أبو إسحاق الديري فأغلق ثانية، وافتتح ثالثة من قبل الشيخ أبي القاسم المصري ثم أغلق، ثم استلم نخبة الطلاب الشيخ أبو عبيدة الجزراوي وصار يدرسهم الشيخ فارس الخزرجي، ثم أغلق لعدم وجود مكان مناسب.

ويقول أبو حذيفة: كان الشيخ يخبرنا أنه متوقع أن يكون استشهاده على يد الدواعش.

ويقول الشيخ أبو السعد المصري: كان الشيخ أبو يحيى حريصا على اتباع الحق ولم يكن متعصبا لفصيل ولا لمذهب، ولما شعر أن الساحة مقبلة على صدام بين الفصائل قال: اللهم اقبضني إليك غير مفتون، فهنيئا له هذه الخاتمة.

بعض ما قيل في رثائه:

نشر الشيخ عبد الرحيم عطون كلمة صوتية رثى فيها الشيخ أبا يحيى المصري وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ الأوّلين والآخرين، والصّلاة والسّلام على سيد المهاجرين وآله الصابرين وصحبه المجاهدين، وبعد:

قال مَن لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم: (عليكَ بالشام؛ فإنها خيرة الله من أرضه يَجْتبي إليها خيرته من عباده).

لقد استقبلت هذه الأرض المباركة كوكبة من خيار المهاجرين من لدن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى هذا الجهاد موصول النَّسب بأولئك الميامين، وعلى ثراها سالت دماء طاهرة زكية ولا تزال، تطهّر الأرض من رجس الصائلين على الدنيا والدين، وتزكّي هواء الشام بريح المسك والعَبَق مُتضوّعًا في جنباتها يُحيي فيمن يشتَمُه روح العزة والإباء وذكرى الأولين.

نعى النّاعي إليّ الشيخ أبا يحيى المصري مُستفسرًا عن ولدي الذي يتربى عنده، فليته نعى إليّ ولدي وَبِشَّرني بسلامة الشيخ؛ فقد كان والله خيراً من أولادنا وخيرًا لأولادنا منا؛ نحرص على طعامهم وكسوتهم، ويحرص على تعليمهم وتربيتهم وتهذيب أخلاقهم، (وَلِبَاس التّقْوَى ذَلِكَ خَيْر).

أبو يحيى نموذجُ قدوة لأبناء المسلمين، هاجر في سبيل الله وجاهد حتى أصيب في معارك حلب وابتلي في ذات الله بفَقْدِ أطرافه التي سبقته إلى الجنة فيما نحسب؛ فلم يثنه ذلك عن متابعة الطريق، فما إنْ أتمّ مرحلة العلاج حتى عاد بعزيمة أقوى وإصرار أشد، لم يرض القعود باحثًا عن الأعذار وهو المعذور، فتح معهدًا لتعليم علوم الشريعة وأولها القرآن، معهدًا خرّج كوكبة من الأشبال والأبطال، منهم من قضى نحبه ومنهم ينتظر..

ورغم أنه من ذوي الأعذار لم يتلكأ عن حضور الغزوات محرّضًا وداعية مجاهدًا أو حضور الرباطات مُثبتا مُصبّرا، وفي أثناء زيارته لأحد المعسكرات أصيب بقصف جوي ونقل إلى المشفى، ويسّر الله لي أن أزوره يومها بصحبة راحل آخر.

من كرام المهاجرين، لم يثن الإنعاش حينها الشيخ الذي كان يعاني صعوبة في النّفَس والكلام عن التحريض والدعوة والدعاء والتصبير والتثبيت، حتى في تلك اللحظات!

أبو يحيى مدرسة في الصبر والمصابرة والمثابرة والاستمرار على طريق الجهاد، لم يخُل بترُ أطرافه بينه وبين متابعة طريق الجهاد في سبيل الله، حِلم وعلم، أدب وحياء، دمَاثة في الخلق، ورقة في الطبع وخفة في الروح، همة عالية في الجهاد وطلب العلم والدعوة إلى الله، نبل ووفاء، بذل وعطاء، يذكرنا بسيدنا ابن الجموح رضي الله عنه والذي يطأ بعرجته الجنة..

أبو يحيى شيخ من شيوخ أهل السنة؛ صديق صدوق، نصوح شفوق، زاهد عابد، راهب في الليل فارس في النهار، نحسبه ولا نزكيه..

المهاجرون من أمثال الشيخ لمثلهم ترخُص النفوس، كما رخصت في سبيل أهل الشام جهادًا في سبيل الله؛ وإذا كانت أرض الشام هي خيرة الله من أرضه فما أخالها تفرط فيمن هم خيرتها من عباده!

لقد كان الشيخ يُكثر من صحبة كتاب الله وكتاب (تحفة العلماء) ومجالستهما حتى تخلّق بأخلاقهما؛ فمن رام التعرف على الشيخ إن لم يكن يعرفه فدونه كتاب الله و(تحفة العلماء).

لقد غرس الشيخ غراس الفضيلة والتربية وحب العلم في نفوس كثيرين، اللهَ اللَه في هذا الغرس، وحريٌّ بطلاب الشيخ وأحبابه أن يتموا المسيرة ويحملوا الأمانة، وصولًا بالمشروع إلى الغاية التي كان الشيخ يبغي وصولها من نشر العلم الصحيح في أوساط المجاهدين، وتربية جيل من طلبة العلم على الفضائل والأخلاق وحب الجهاد والاستشهاد والذّود عن هذه الأمة وهذا الدين.

كنت أزوره في معهده فأستبشِر بمستقبل الجهاد. ألا خَوْفَ على جهادٍ فيه مثل هؤلاء الرجال ممن يبنون الرجال، ويخرّج مثل هؤلاء الأشبال.

كيف سيلقى الله قومُ قتلوا شيخاً مثله مجاهدًا مِن خيرة المجاهدين علمًا وعملاً وخُلقًا ودِيناً؟!

سيبُوء قتلته المجرمون بإثمه، بإثمه وإثم قتل ثلة من خيرة المهاجرين والمجاهدين؛ أبي الحارث الليبي، وأبي مضاوي الجزراوي، وأبي أسامة الجزائري؛ وأبي القعقاع الأنصاري، وغيرهم.

سيبوء هؤلاء بإثم فتية منهم من مات ومنهم من جرح ومنهم من ربما يضيع، فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى بانتسابهم لذلك الصّرح العلمي الذي كان يُشرف عليه أبو يحيى.

هل قتل أهل القرآن مما حضض عليه القرآن؟!
هل قتل حملة السنة مما أمرت به السنة؟!
هل فعلكم هذا مما يُرضي الله؟ أهو قربة لله أم للشيطان؟

أهو جهاد أم ضلال وإفساد؟!

ألا خاب مسعاكم وتبّت يداكم..

أبا يحيى عليكَ سلام الله، عليكَ سلام الله ما هب في الروح النسيم، وما انساب في حناجر من ربيت القرآن العظيم.

آل أبي يحيى؛ عظَّم الله أجرنا وأجركم، ونسأل الله أن يتقبّل شهيدكم، ويرفع درجته في المهديين، ويُخلفه في عقبه في الغابرين، وأن يجعله شفيعًا لكم يوم الدين.

ستظل أرض الشام تذكُره وصَحْبَه؛ ستتراءى صورهم لجيل القرآن الذي ربوه علمًا وعملًا وعزيمة وإصرارًا، ولن ينساه أهل الشام ممن عرفوه وأحبوه، سيذكره سهل الروح بأهله ونسيمه وثراه، سيكبر حفاظ القرآن الذين تخرجوا على أبي يحيى، يتابعون مسيرة العلم والجهاد التي تتكامل ولا تتعارض، وكلهم في صحيفة أبي يحيى -بإذن الله-.

سنذكرك مهاجرًا مجاهدًا، ومصابرًا مرابطًا، وشيخاً قدوة، فارسًا في الميدان، ومخبتاً في الليل بالقرآن، وعَلَمًا على العزيمة والثبات في وقت عز فيه الثابتون المضحُون في سبيل نيل ما كانوا يطلبون؛ (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ)؛ ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع..

ونسأل الله إِذْ فقدناك في هذه الفانية على حبّ منا لك في الله أن يجمعنا بك في جنته مع نبيه ومصطفاه إخواناً على سررٍ متقابلين، وسلامُ على روحك ومَنْ ارتقى معك في الربانيين، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

إن سيرة الشيخ أبي يحيى وجهاد واستمراره في الجهاد بعد قطع أطرافه الثلاثة حجة على كل تارك للجهاد مول للأدبار مؤثر لسلامة دنياه ولو كان في ذلك تضيع دينه.

هذه السيرة العطرة حجة على كل منتكس أركس في الفتنة ورجع إلى معسكر النظام بعد أن منَّ الله عليه وأنقذه من حياة الذل والاستعباد وتمجيد الطواغيت.
هذه السيرة المباركة حجة على كل من ترك الجهاد بعد أن ذاق حلاوة العزة بدين الله وسافر إلى بلاد الشرق والغرب بحثا عن متع الدنيا الفانية ولذائذها المنقضية وشهواتها العابرة.

هذه السيرة الزكية حجة على كل متخاذل ومتمسك بالأعذار الواهية والشبه الساقطة ليسوغ لنفسه القعود عن الجهاد في سبيل الله ونصرة المستضعفين.

هذه السيرة النيِّرة ستكون نبراسا ومنارا لشباب الأمة ليعلموا أن الأمة لم تمت ولن تموت وأنها حافلة بشباب يسيرون على خطى الرعيل الأول الذين رباهم خير خلق الله عليه الصلاة والسلام، وأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا مع ما أصابهم من القرح والجراح والشدائد والآلام.

اللهم ارحم عبدك أبا يحيى وتقبل منه هجرته وجهاده وصبره ونشره العلم وإصلاحه بين الناس، واحشره في زمرة العلماء والشهداء، وارفع درجته في الجنة، واغفر ذنبه، وأعل ذكره، وعوض الأمة خيرا منه، وألحقنا به غير مفتونين، برحمتك يا خير الراحمين.

الفهرس

المقدمة 1
مولـده ونشـأته 3
نفيــره إلــى الجهــاد 3
بتــر أطرافــه 4
في تركيــا 6
زواجــه 7
انتقالــه إلــى الجانــب التعليمــي 8
همته العاليــة 14
حســن خلقــه 17
صبــره 22
مزاحــه 22
عبادتــه 23
بــره بوالديــه 26
شــهادة الأخ أبــو عبــد الرحمــن الشــيخ يوســف 27
شــهادة الشــيخ أبــي دجانــة المصــري 28
شــهادة الشــيخ أبــي القاســم المصــري 29
شــهادة الدكتــور أبــي عائشــة المصــري..... 30
استشــهاده 31
بعــض مــا قيــل في رثائــه 33
الخاتمــة 37